

غيره عانا

يسرى الأيوبي

ركب أهرمان عربته المصنوعة من خشب الإلبيوني الفاحم
السود يقودها عشرة أزواج من الخيول المطهمة المجنحة، وجال في
أملاكه الشاسعة الواسعة تحت الأرض من مغرب الأرض إلى مشرقها
ولم يجد من يعترضه أو يضع السodos في وجهه.. أناخت الجبال
وسمحت أن تحفر فيها الأنفاق المتشعبـة، وقامت عفاريت "الجلـا"
برصفها بالرخام وتزيين جدرانها وسقوفها بأروع لوحات الفن. كم كان
أهريمان يحب جمع الآيات الفنية المتنوعة المتقاضـة، فقرب لوحة تمثل
طقوس الخصب المرحة كانت أخرى تكسر عن وجه زعيم يحرق ثديي
فتاة عارية، وثالثة يركع فيها ملايين المسلمين بثيابهم البيضاء حول
الحجر الأسود، ورابعة جمع فيها مثرا وتموز وبعل وأوزاريس وأتيس
وأدونيس على عشاء رباني شويـت فيه الأضاحـي البشرية..

كانت الأنفاق ملأـى بثيريات متلائـة تحـيط بها صـبابـا تتـوج
رؤوسها بنجوم مضـيـة، ومن عيونها الـلامـعة تـنسـل خـيوـط فـضـيـة تـخـترـق
كتـافـة الجـدرـان وـالـسـقـوف لـتـشـكـل نـوـافـذ يـشـفـ منها ما وـرـاءـها. انـهـنـ بـنـاتـ
آـنـوـ يـكـتبـنـ أـلـواـحـ الأـقـدارـ لـلـنـاسـ مـنـ الـأـنـفـاقـ لـاـ مـنـ السـمـاءـ.

بلغ أـهـرـمـانـ مـنـ القـوـةـ وـالـنـفـوذـ وـالـغـنـىـ مـاـ جـعـلـ وزـيـرـهـ وـصـفـيهـ
نـمـتـارـ يـحـسـدـهـ فـيـ أـغـوارـ نـفـسـهـ وـيـتـسـاعـلـ: "لـمـاـذـاـ لـمـ تـبـقـ الـآـلـهـةـ عـلـىـ عـادـةـ
قـتـلـ الـمـلـوـكـ عـنـدـ مـطـلعـ كـلـ شـهـرـ، فـيـكـونـ لـكـ وـاحـدـ دـورـ فـيـ السـيـادـةـ عـلـىـ
الـبـشـرـ؟ اـنـهـ مـتـعـةـ مـاـ بـعـدـهـ مـتـعـةـ، اـنـهـ تـفـوقـ مـتـعـةـ نـكـاحـ أـلـفـ مـحـظـيـةـ.

انشققت البحار لمقدم أهريمان، ثم عادت وامتنجت مياهها، وتهافتت كواكب السماء راكعة أمامه، ووضعت عيونها اللامعة في خدمته. لم يكن أهرمان راضيا ولا مكتفيا، إذ يعلم بأن عدوه الأزلية أهرمزدا متحصن في جزيرته وأنه سيقاومه حتى النفس الأخير. سمع أن لديه من الصواعق ما يفوق ما عنده، فخشى مجابهته وجهاً لوجه، إذ أن المبارزة بالصواعق شيء خطير ربما أدى إلى هلاك الطرفين وموت الآلهة والبشر وجميع المخلوقات. صعد في رحلته إلى الأرض ووقف يتأمل مطلع الشمس بحقد ونفور، مغيظاً لأنه لا يستطيع امتلاك ذلك القرص اللاهب وإطفائه. إن أهرمزدا يذله لأنه لا يستطيع امتلاك ذلك القرص اللاهب وإطفائه. ان أهرمزدا يذله لأنه صديق الشمس والنور الساطع؛ هو واضح مستقيم يحب الخير للبشر، أما أهرمان فلا يعمر قلبه إلا الكره والأذى. وتنكر بلوغة كيف طرد من الجزيرة، كيف هبت عواصفها في وجهه وأرسلت تنانينها الشرر واشرأبت أفاعيها مكشرة عن أننيابها السامة، وزارت أسودها، وعوت كلابها، وتظاهرت نمالها. حتى بعوضها كان له لسع العقرب. لا ينسى أبداً الذل الذي عاناه وهو يخرج من الجزيرة مهزوماً عارياً تلاحمه الشتائم واللعنات. وفيما هو واقف في مكانه وخ يول عربته تسرح وتأكل الحشيش الغض، سمع صوتاً خارجاً من أعماق الأرض، صوتاً يشبه الأنين، فركع ووضع أذنه على سطح الأرض، فسمع نحيباً ثم تبعه ابتهال:

أنقذني يا آننو، يا والدي السماوي

لم يرع العالم الأسفل حرمتي

جردني من حلاي

جردني من ألواح القدر

نزلت عارية إلى العالم الأسفل. عذبني العالم الأسفل

وأنا الآن في قبضة أخي السوداء أريشكيجال.

سأل أهريمان مرافقه: صوت من هذا الذي ينتحب عالي؟"

قال الوزير متعجبًا: "ألا تعلم يا سيدي؟ إنها إينانا التي جرت من عرشهما السماوي بأمرك، وكبّلها عفاريت "الجلّ" ودفعوا بها إلى العالم الأسفل بأمرك. ويحجزها ناتي كبير الحراس بأمرك، وفي كل يوم يثخنونها بالجراح ولكنها لا تموت، في كل صباح يرجمونها بالحجارة ولكنها لا تموت. وصلت شكاتها إلى الأب السماوي آنـو والـى أخيه الـشـمـس آـنـو، وـهـمـاـ عـازـمـاـنـاـ عـلـىـ اـنـقـاذـهـاـ مـنـ الـعـالـمـ الـأـسـفـلـ وـلـوـ أـدـىـ الـأـمـرـ إـلـىـ حـرـبـ الصـوـاعـقـ مـعـكـ".

لم يكن أهرمان راغباً بمثل هذه المواجهة الخطرة. فبالرغم أنه حصن نفسه تحت الأرض وبنى مستوطنه على طول خط درب الشمس عند المغيب إلا أنه كان حذراً من أن يفجر غضب الآلهين السماويين آنـو وآنـو. فـآنـو قد يخطر له أن يحرك الطوفان فيغرق أتفاقه بكل ما فيها من تحف فنية ويتلفها، وأنـو قد يفلت من يده الشعلة المقدسة فتحرق من على الأرض وما عليها وتخترق باطنها لتتضي على العمـانـ والـحـيـاةـ فيهاـ. فـكـرـ أـهـرـمـاـنـ بـأـنـ مـنـ الـأـفـضـلـ لـهـ أـنـ يـسـلـكـ سـبـلاـ نـاجـعـةـ دونـ صـرـاعـ عـنـيفـ. كـانـ لـهـ عـقـلـ شـبـيـهـ بـالـمـتـاهـةـ التـيـ أـشـرـفـ عـلـىـ بـنـائـهـ فـيـ الـعـالـمـ الـأـسـفـلـ، لـاـ يـعـرـفـ مـاـ دـاـخـلـهـ وـمـاـ خـارـجـهـ إـلـاـ خـبـيرـ..

صاح بوزيره قائلاً:

- من أخبرك أنني أريد الشر بـإـيـنـاناـ؟ في صـبـايـ اـمـتـلـأـ قـلـبـيـ بالـحـبـ لـهـ، وـكـمـ بـكـيـتـ فـيـ حـرـقـةـ لـيـالـيـ طـوـبـلـةـ لـأـنـهـ حـرـمـتـيـ حـانـهـ. وـفـيـ يـوـمـ عـيـديـ لـمـ تـرـسـلـ مـنـ طـرـفـهـ حـتـىـ وـصـيـفـةـ لـزـيـارـتـيـ. كـانـتـ قـدـ أـغـرـمـتـ بـأـهـرـمـزـدـاـ، أـهـرـمـزـدـاـ النـاسـكـ الـذـيـ يـزـدـرـيـ الـجـنـسـ النـسـائـيـ، وـيـتـعـوـذـ بـالـشـيـطـانـ كـلـمـاـ شـاهـدـ اـمـرـأـ. أـهـرـمـزـدـاـ الـذـيـ يـأـمـرـ النـسـاءـ أـنـ يـتـحـجـبـنـ فـلـاـ تـظـهـرـ مـنـهـنـ إـلـاـ عـيـونـ انـ سـرـنـ بـالـشـوـارـعـ وـيـخـلـدـنـ إـلـىـ الـبـيـتـ وـيـقـفـلـنـ الـأـبـوـابـ دـوـنـ أيـ غـرـيـبـ، وـحـينـ يـصـبـحـنـ زـوـجـاتـ يـغـدوـ الـأـبـ وـالـأـخـ غـرـيـبـيـنـ لـاـشـأـ لـهـنـ بـهـمـاـ. حـاـوـلـتـ إـغـرـاءـهـ فـكـانـ عـصـيـاـ عـلـىـهـاـ، أـبـرـزـتـ لـهـ مـفـاتـهـاـ فـجـفـلـ مـنـهـاـ، وـلـمـ يـئـسـتـ مـنـهـ اـخـتـارـتـ دـيمـوزـيـ زـوـجاـ لـهـ وـأـسـلـمـتـهـ

ألوهية البلاد، الراعي الجلف الذي يفوح برائحة الأبقار أعطته مقاليد الحكم. ومع ذلك لم أهدى إليها. ان للنساء منطقاً عجيباً كما تعرف. كل ما أملك من مال لم يغريها، كل ما يحتويه منزلتي من تحف فنية هي عقيرية الأجيال لم تلتفت إليها. شبابي ووسامتني وصفتها بالتخنث، وذكائي اللماح سخرت منه وأسمته شعوذة، فنون سحري هزئت بها وقالت عنها "جلا، جلا". أنا لا أعرف ماذا جرى لي؟ كانت تزيد فتنة في عيني كلما ازداد جفاوها لي.. وأشارت رغبة امتلاكها كل حواجز الشر في أعمقني. لا أعرف أحياناً إن كنت أحبها كل الحب أو أكرهها كل الكره. ولكن ما كنت واتقاً منه هو رغبة امتلاكها بأي ثمن كان ولو كانت بين يدي جثة هامدة. أريد إدلالها، وتدمير حصونها، ويسرني أن ترتمي صاغرة عند قدمي مستسلمة لي.. ابني لأمتك عليها حق الحياة والموت فهي ابنة آنو والأثيرة لديه، خالدة لا يذبل جمالها مهما أصابها من محن، وفي اللحظة التي ترى فيها نور الشمس، يجدد أخوها أتو كل خلاليها التالفة بأخرى شابة نصرة، فتعود أحلى مما كانت وأنضر من كل وقت مضى.

أرسل أهريمان وزيره الأكبر وصفيه إلى أريشكيجال يطلب منها إطلاق سراح اينانا في الحال، وإعادتها إلى ما كانت عليه وإرجاع ما سلب منها إليها: حلاها ولباسها الملكي وألواح الأقدار التي تتنطبق بها، ولكن أريشكيجال ملكة الموت أحباته: إن للعالم السفلي قوانين لا يجرؤ حتى أهريمان على تجاوزها.. إنها في أرض اللاعودة وما من أحد يستطيع إرجاعها إلى ما كانت عليه.

نزل أهريمان إلى باطن الأرض متوجهاً نحو قصر أريشكيجال فقداده إليها حرس من الشهداء المخلدين الذين ألقى العالم الأسفل على كسائهم البشري فلم يعرّهم أو يحولهم إلى هيكل عظمية متحركة، حتى أنهم كانوا يحتفظون بلباسهم الذي نولوا به وأوسمة شجاعتهم، تحميهم الدعوات الصالحة فلا تطالهم أيدي "الجلا" بسوء.

وكانت أريشكيجال تستخدمهم في قصرها تحت الأرض كما كانت أختها اينانا تستخدم الخصيان في هيكلها الأرضي المقدس، اينانا قبل أن يجرها الفضول لمعرفة ما يجري في العالم الأسفل..

جلست أريشكيجال على عرشها المرصوف بعظام البشر وجماعهم وقد لفت رأسها بالشعيدين الماكرة. ولم يكن يغطي جسدها رداء أو يستر صدرها غطاء. لقد جعلها الظلام الأزلي حادة البصر في العتمة كارهة للنور، يعيش في صدرها حقد كنسيج العنکبوت. لم تعرف الرحمة إلى قلبها سبلا، بل تتنشى بمصالب البشر ليذوقوا ما ذاقه منذ اليوم الذي اختطفها فيه "أركو" رب العالم الأسفل وجعلها ملكة قلبه. كانت تنتظر قدوم أهرمان وقد أشعلت في القصر نيران الموارد لتلك المناسبة من قبيل المجاملة، وعلى مضض.. فان أهرمان عقد صفقة مع زوجها الثاني نرجال السكير واشترى العالم الأسفل كله بما فيه قصر أريشكيجال.. وكانت الصلات بين مدینته ذات الأنفاق ومدینتها ذات الحفر على وفاق، بل ارتفعت العلاقات فيما بينهما إلى مستوى سفاره. وقامت تجارة نشطة بين المدينتين، من السموم التي مهرت أريشكيجال باستقطارها من أفاعيها وبيعها لأهريمان فيقياضها بدوره بالمتربدين والثوار من البشر الذين تخطفهم عفاريته وتدفعهم إلى العالم الأسفل.

قال أهريمان بلهجته المتوددة المعاتبة المشوبة بتهديد مبطن:

- هكذا يا أريشكيجال تردين وزير صديقك أهرمان خائبا! أنا لم آخذ من الأجور كما تعلمين عن قصرك الذي تسکنين منذ عام، لأنما نضبت أنياب أفاعيك، وأصاب قلبك الوهن والإشفاق على الإنسان..

قالت أريشكيجال محتاجة :

- أنت تتهمني هذا الاتهام، في الوقت الذي تحاول فيه إنقاذ اينانا من العالم الأسفل؟.. أنا لم أشف غليلي بتعذيبها عشرين عاما، أختي ابنة آنو التي كانت تعيش فوق الأرض وتستمتع بالحب والخصب وتنجب الأبناء والبنات..

قال أهرمان مبتسمًا ابتسامته الغامضة:

- إنني أنقذها لأنّال من خصومي وستكون دوماً في قبضتي
أدفعها إليك متى شئت بعد أن تؤدي مهمتها.

- اذا كان الأمر كذلك فلنك ما تزيد .. ولكن لو تركتها تخرج
لغضب مني قاضي "الجلا" الكبير لأنني أخرق ناموس العالم
الأسفل.. الأرض التي لا عودة منها أبداً، ولهذا اشترط أن ترسل عنها
بديلاً في اللحظة التي تدوس قدماها أرض الأحياء.

بعثت أريشكيجال رسالتها إلى ابنانا لتمثل بين يديها. كانت على
حال تعسة من الشقاء، وقد أصابها الهمز والهزال ودكن لونها بصبغة بنفسجية
انتشرت في كل أنحاء جسدها. شعرها الأسود اللامع حائل مشعث تجره
خلفها، وعيناها النجمتان المتائلتان كابيتان. أظافرها طالت واتسخت،
وثردياتها تهدلاً. لم يعرفها أهرمان للوهلة الأولى لما أصاب كبرياتها من
انكسار. يا لرهبة العالم الأسفل ماذا يصنع بالآلهة فكيف بالبشر؟ كانت
تموت وتتعلق جثتها على مسمار، ثم تقوم ثم تموت ثم تقوم، ولكنها في
الآونة الأخيرة خلدت للنوم، حية ميتة، أو ميتة حية، تصحو ساعة لتنام
ساعات وقد غام ذهنها وفقدت ذاكرتها، حتى اسمها نسيته حين مثلت
أمام أريشكيجال؛ وأهريمان لم تعرفه حين سألهما:

- كيف حالك يا بنة آنو؟ ضحكت ببلاهة حين وجه إليها السؤال
ولم تجب. وعاد أهريمان للكلام بلهجة قلقه يستثير ذاكرتها:

- اننا، ألا تعرفي نفسك؟ أنسنت أنك ابنة آنو والأثيرة لديه؟

قالت بتعجب:

- أنا ابنة آنو؟ ولماذا يتخلّى عنّي أبي ان كنت أثيرة لديه؟
- لم يتخلى عنك.. جئت لإنقاذك.. سمع شكوك الصادرة من
أعماق الأرض السابعة وبعث بي لإنقاذك، فتهيئي للخروج من العالم
الأسفل الذي لم يتصعد منه آلهة ولا بشر.. إنها معجزة تحدث مرة في

ألف عام.. ول يكن ماجرى لك عبرة لكل الفضوليين والمستهتررين بناموس العالم الأسفل.

صحت اينانا تماما حين دب فيها الأمل، وجمعت بيديها كومة شعرها الذي يجري جداول سوداء فاضت عن ضفافه، وعقصته كالتابع على رأسها، ثم حشرت أطرافه عند الجذور كي لا يتدرج ثانية. واستعدت للخروج فسمّرها صوت أريشكيجال الرادع المنتمق الأزلية الثار:

- رويدك ياينانا، رويدك يا ابنة آنو، ان لكل شيء ثمنا.. وثمن حريتك من العالم الأسفل هو التضحية ببديل عنك تحبينه ويكون في مثل وزنك ومقامك، فاختاري هذا البديل.

ولم يلبث أن أحاط بائنانا جن العالم الأسفل الذين لا يأكلون ولا يشربون ويختفون بالنهار ويؤرقون ليل النائم ويجلونه بالسياط ان تواني عن تنفيذ تعهاته وأردفت أريشكيجال:

- ستكونين في حراستهم حتى نفي نذرك.

* * *

خرجت اينانا من أبواب الأرض السبعة، وكانت كلما صعدت ببابا أعطاها سدنته ما سلبوها اياه أثناء نزولها.. ولما شاهدت نور الشمس تعانقت وأخاها أوتو عناق حبيبين مفتربين طال فراهما. كانت تشع فرحا، وتذوب جدا، وتمتاك في كل قبلة قوة الالهة وتجدد فيها كل خلاياها. غير أن فرحها الغامر كان مشوبا بغصة في أعماق أغوارها وهي تذكر أن عليها اختيار البديل.

نظر أهرمان اليها فرأى فيها اينانا التي عشقها في مطلع شبابه مضاف اليها ذلك الحزن العميق في عينيها الذي خلفه التجربة المريرة التي عانتها في العالم الأسفل. ما كان يريد أن يكشف عن هويته فتجفل منه، ولكنه كان على ثقة أنه امتلكها بعد إنقاذهما وستذكر له هذا الجميل دائما وتهرع طلبا لمساعدته كلما لز بها الأمر وأصبحت بخيبة الأمل.

يسرى الأيوبي غيره عانا قصص قصيرة رمزية

أمر وزيره وصفيه نتار أن يذهب بها في عربته الفخمة تحت جنح الليل إلى قصرها ويعود اليه مسرعاً بعد أن يوصلها ويخبره كيف استقبلها أهل الدار، وأي بديل قد اختارت لتضحي به عن نفسها. نزلت من العربة وقالت لحارس القصر الذي منعها من الدخول.

- ابعث الي بكير خصيان القصر، مستشاري والأمين على أسراري "شارا" قل له ملكة القصر اينانا تريد أن تراه.

- أنا لا أعرف ملكة للقصر الا عشتار زوجة سيدى وراعى وملكي ديموزي.

- أيها الخسي ساقطع لسانك الذي يلوك الكذب، ان ديموزي، زوجي الحبيب ديموزي، الراعي الذي اخترته وأسلمته ألوهية البلاد، ومنعني بذوره التي تهب الحياة لا يمكن أن يختار غيري، أنا ملكة كل الناموس التي تأمر مرة بعد أخرى أن يتکاثر أهل "ايرياك" مدینتي. أنا حارسة بيت الحياة ديموزي، مخزن الحياة المديدة، الحياة الأزلية التي تبقى وتتكرر في رحمي. هل أنت خسي جديد حتى لا تعرف اينانا؟

- ان كل خصيان القصر جدد أقسموا على عبادة عشتار لا اينانا..

- ويل لمدینتي سيصيييها الخراب.. ناد لي زوجي ديموزي! قل له اينانا عادت من رحلتها إلى العالم الأسفل، وهي تنتظره على آخر من الجمر.. ستري كيف يكون غضبه لأنك منعتي من ولوج القصر.. ستري بعينيك كيف تكون لفته لرؤيتي.. كنت أفكّر كيف أدخل عليه وهو نائم، وأمسه برفق فيفتح عينيه وينظر الي في لففة ويفتنني حلما من أحلامه.. لقطع رقبتك أيها الخسي لأنك حرمتني حلو اللقاء. سأرى ماذا أفعل بك أيها الخادم الغبي حين أسطر من جديد قدر كل البلاد..

- سيدتي أنا عبد أنفذ الأوامر، ولا أستطيع أن أبارح مكانى،
وسيدي ديموزي لا يحب أن يعكر صفوه أحد وهو في خلوته المقدسة مع
عشتار.

- ليلت أفاعي أريشكيجال تغزو أنيابها السامة في جسده..
ارفع صوتك وناد أحداً من يلود بي، ناد على واحد من أبنائي الذين هم
بزور ديموزي وحملة الصولجان من بعده.. ناد نور آنو، وهنانو ولولال
أبنائي أصحاب القوس الطويلة والسهام الصائبة، فهم نصيري. ان كنت
لاأرتدى طيالس الملك ولا أضع التاج المرصع على رأسى فسيعرفونى
ولو مضى عشرون عاماً على غيابي.

- لا أعرف أحداً من تذكرين الا لولال الذي أمرني قبل أن
يخلد للنوم أن لا يفظه لأي سبب كان. فهو سيرتحل في الغد تتفيدا
لأوامر سيدي ديموزي لمقارعة أسد الصحراء الذي يفتاك فتكاً ذريعاً
بأغنام الرعاعة.

حين يئست ايانا من دخول القصر، توجهت سيراً إلى معبد
ایانا، فلعلها تجد فيه من يعرفها ومن يفديها. وسار معها في الأعلى
"نانا" الله القمر، والدها الذي طالما نصحها أن تكف عن عادتها الذميمة
في كشف الأسرار حتى أمسك بها عفاريت العالم الأسفل، فرضخت
لنواميسه.

سار القمر معها يرافقها في رحلتها إلى معبد ايانا، وهو يشاهد
بعينيه النفاذتين أسرها الخفي والجلّا يلاحقونها كيما تحركت وما كان
بوسعه فعل شيء فسلطة أريشكيجال فوق سلطته، وأمرها نافذ ضمن
حدود مملكتها ونواميسها. وكان يغيم أحياناً خلف غيمة عابرة ليمسح
دمعه المناسب إلى لحيته الفضية.

وصلت عانا إلى معبد ايانا. وما كادت تطرق الباب حتى
خرجت إليها "تنشوبور" رسولتها ومساعدتها المخلصة. عرفتها في

اللحظة التي وقع بصرها عليها فأجفلت. خرت ساجدة على قدميها معرفة وجهها بالتراب فرفعتها اينانا. ضمتها الى صدرها وهي تبكي في حرقه:

- هل أنت شبح أم حقيقة؟

- بل حقيقة.

- بئست من عودتك .. طفت بيوت كل الآلهة منتخبة مجرحة الجسم رثة الثياب ابتهل اليهم أن يعيدهوك من بلاد اللاعودة، ولكن أحدا منهم لم يكن يستطيع أن يزري بنواميس العالم الأسفل أو يصل اليك فيحبيك.

أمسك العفاريت المتملهون بننشابور كي يأخذوها بدليلا عن اينانا، ولكن اينانا صاحت بهم:

- هذه وزيرتي الحكيمية ننشابور ورسولتي الى الآلهة، المخلصة الوفية التي قامت بتنفيذ تعليماتي حتى أنفدت حياتي لأفترط بها.

قالت ننشابور الحكيمة والخوف قد استبد بها إذ ذكرت ما قرأته في كتب الحكم بأن الموتى لا يعودون الى الحياة الا لقاء بديل، كانت ترتجف ولم تشا أن تكون الضحية:

- ما أنا الا يتيمة لا أعرف أما او أبا. التقطني خصي من خصيانتي عبد ايانا ورباني. وتعلمت الحكمة على يديه فاختارتني سيدتي اينانا لأكون خادمتها ورسولتها.. فهل تعدل حياتي حياتها حتى ترضى أريشكيجال أن أكون لها بدليلا؟

واقتعد "الجلاء" بصواب رأيها فأخلوا سبيلها. وقامت لانلوي على شيء وهرعت الى قاعة الحرم حيث انتصب تمثال آنو فأمسكت بساقيه الرخامتين مستجيره به متضرعة اليه أن يحميها:

- كن حكما بيني وبين ابنتك ياـنو. لم أsei اليها وهي تروم الإساءة الي.

صاحت بها اينانا دون أن تدخل الحرم:

يسرى الأيوبي غيره عانا قصص قصيرة رمزية

- لست ناكرة الجميل يا ننشابور. لن أضحي بك، لن أطلب
الياك أن تقدينني.. أنا ذاهبة إلى معبد "شارا"، ابني البكر الذي كتب
المراثي عنني وترنم بها حتى دمعت لحزنه عيون الصخور فهو يفديني.

- لاتذهب بي إليه يا سيدتي.. انه في بئر عميق لا يسمع أحد
صوته.. هكذا قضى عليه ديموزي، لأن أشعاره أرقت لياليه..

استراحة إينانا في معبد إيانا، ومن ننشابور عرفت كل ما
جرى في إيريك من أحداث أثناء غيابها.. وفي الصباح توجهت إلى
القصر برفقة ننشابور رسولتها إلى ديموزي. فاستقبلتها كما يستقبل شبحا
راجف القلب شاحب الوجه..

- ديموزي. ماذا فعلت بابني شارا؟

- لم ينشد الأناشيد التي تبهج القلب وتسكن النفس، ويرفض
حضور الأعياد المقدسة.. كاد يصنع فتنة في إيريك.. أراد أن يغيّر
ناموس آنو المقدس.. نصحته فلم ينتصح.. جئت بالعرافين فقالوا أن به
جنة، فسجنته خوفا عليه من شياطينه، وخوفا عليه من غضب الآلهة.

- ديموزي ماذا فعلت بابني "تورانو"؟

- عينته أمر السفن فاللهمه تنين البحر.

- ديموزي ماذا فعلت بابني "هبتانو"؟

- قلدته حكم غابة الأرض فافترسه ثور الغابة.

- ديموزي ماذا فعلت بابني لوال؟

- ارتحل لمقارعة أسد الصحراء الذي يفتك فنكا ذريعا بأغمام
الرعاة! وسيعود مظفرا ترعاه عين آنو..

- ديموزي، من سيجلس على عرش حجر اللازورد بعدك؟

ومن يجعل بذورك تتطق كلمات العدل في البلاط؟

- ابني أدونيس..

وأخذ الغضب بابينانا كل مأخذ، غير أنها تملك نفسها:

- من هي أمه التي كنت تستمتع في حضنها في غيابي؟ هل هي أهل؟
- إنها عشتار الأرض ابنة آنو.
- ويلك! عشتار اللعوب ملكة قصرك؟ هل أمنتها أن تحفظ لك بيت الحياة، وتكون الرحم التي تنقل بذورك؟
- خصيانت القصر يراقبونها ليل نهار.. ثم أني واثق من إخلاصها لي..
- إنك تروم محالا. تروغ منك كما يروغ الثعلب. هل تعرف شيئاً عن السحر الذي تتقنه عشتار؟ تحول نفسها إلى عجوز شمساء وتخرج على عصا من قصرك، تقلب إلى مهرة وتتنزلق مسابقة الريح أمام عينيك، تحشر نفسها في ثياب طفلة تلعب نطة الحبل في البستان وتنفلت من عيون حراسك، تتحول إلى طير فلا يحس أحد بغضدها ورواحها.. هل تحسب أنك قادر على لجم نزوات عشتار؟

لم يكن ديموزي السارح بعينيه، غير مصدق ما يسمع، هو من عرفته اينانا. لم يعد لها وليمة، لم يسمعها كلمة رغبة، لم يدللها، لم يضمها إلى صدره، لم يقبلها؟ بعد غياب عشرين عاماً لم يعد يعرفها. نسي لمساتها المقدسة، نسي الفرح الذي فجرته في قلبه، والحياة التي أخصبتها بذوره في رحمها يهدّرها عاماً متعمداً كي يهب الصولجان والسيف من ليس له أهل.. كانت الغيرة تستبد بائنانا، ليست غيرة الأنثى من نزوات زوجها، فلطالما تقبلت بصدر رحب عبشه مع محظيات البلاط، ولم تعارض أبداً أن يؤدي مهمته الحلوة بين عذارى بلدته في الأعياد المقدسة، بل كانت بنفسها تنتقي له أجمل العذارى لتنتشر بذوره في ايريك، فيصبح أبناءها كأبناء أم واحدة.. كانت الغيرة تستبد بائنانا لأنها أزيحت عن مركز قوتها، وأنها خسرت قلب ديموزي، وأنها لن تكون الأم الحاكمة في ايريك. لقد وجد ديموزي البديل، واختار تحت الحاج عشتار من يجلس بعده على عرش حجر اللازورد.

وفي تلك اللحظة التي كانت أعماقها تمور بالغضب اختارت البديل، اختارت ديموزي ليكون البديل عنها في العالم الأسفل. سلطت عليه عينيها، عيني الموت، نطق الكلمة بحقه، كلمة الغضب، أطلقـت صـيـحة اـرـجـف لـهـاـ كـلـ مـنـ فـيـ الـقـصـرـ، صـيـحةـ التـأـثـيمـ والـعـاقـابـ. قـالـتـ لـلـجـلـاـ الـذـيـنـ وـقـفـواـ نـافـذـيـ الصـبـرـ يـنـتـظـرـونـ الضـحـيـةـ:

- خذوه! هو ذا ديموزي خذوه اليكم!

وأحاط به الجلا "وشدوا وثاقه بحبال خفية، ولما حاول المقاومة ألقوه أرضا وأوسعوه ضربا حتى تلاشى.

وما أن شاهدته اينانا وقد ارتسـتـ عـلـىـ وجـهـهـ دـلـائـلـ الموـتـ حتى صدر عنها نواح مر وشقـتـ ثـيـابـهاـ، وخدشتـ بـأـظـافـرـهـاـ وجـهـهاـ، وأخذـتـ تـلـطـمـ صـدـرـهاـ. فـاجـتـمـعـ أـهـلـ القـصـرـ لـصـيـاحـهاـ وـشـاهـدـواـ سـيـدـهـمـ جـثـةـ هـامـدـةـ. فـعلاـ عـوـيلـهـمـ حتـىـ شـقـ عـنـانـ السـمـاءـ وـبـلـغـ أـسـمـاعـ كـهـنـةـ الـعـابـدـ فـتـقـاطـرـواـ إـلـىـ الـقـصـرـ، وـلـمـ يـكـنـ لـوـلـالـ قدـ تـوـجـهـ بـعـدـ إـلـىـ الصـحرـاءـ بـلـ كـانـ يـصـليـ فـيـ مـعـبـدـ اـيـانـاـ لـتـكـونـ رـحـلـتـهـ مـوـفـقـةـ وـلـتـرـعـاهـ عـيـنـ آـنـوـ وـتـرـسـهـ.

نظر إلى أمه نظرة اتهام وهو يتـسـأـلـ:

- كيف حدث هذا؟ كيف حدث هذا؟

وأجابـهـ اـيـانـاـ وـهـيـ تـشـيـحـ بـعـيـنـيهـ فلاـ تـلـقـيـانـ بـعـيـنـيهـ:

- أـصـابـتـهـ الـغـاشـيـةـ حـيـنـ رـأـيـ.. لمـ يـصـدـقـ أـنـيـ أـعـودـ مـنـ الـعـالـمـ الأـسـفـ.. كـانـ يـرـتـجـفـ فـرـقاـ، ظـنـنـيـ شـبـحاـ، ثـمـ لـمـ عـرـفـ أـنـهـمـ أـطـلـقـواـ سـرـاحـيـ بـأـمـرـ "ـأـنـكـيـ"ـ شـبـ وـجـهـ كـائـنـاـ أـصـابـتـهـ صـاعـقـةـ وـارـتـمـىـ عـلـىـ الـأـرـضـ فـاقـدـ الـحـيـاةـ.

كـانـ عـفـارـيـتـ الجـلـاـ قدـ انـطـلـقـتـ لـتـقـبـضـ عـلـىـ رـوـحـ دـيمـوزـيـ خـوفـ أـنـ تـعـودـ إـلـىـ الـجـثـةـ فـتـحـيـبـهـاـ. وـاجـتـمـعـ الـكـهـانـ لـيـقـومـواـ بـمـرـاسـمـ الدـفـنـ بشـكـلـ يـلـيقـ بـالـمـلـكـ وـلـمـ قـامـواـ بـالـطـقوـسـ الـجـنـائـزـيـةـ حـسـبـ النـوـامـيـسـ عـادـوـاـ إـلـىـ الـقـصـرـ لـيـخـتـارـوـاـ خـلـيـفةـ، وـلـمـ كـانـ شـارـاـ يـخـيـفـهـمـ لـمـ سـبـقـ وـبـدـرـ مـنـهـ مـنـ اـسـتـهـتـارـ بـسـلـطـتـهـمـ فـضـلـتـ جـمـاعـةـ مـنـهـمـ لـوـلـالـ لـأـنـهـ أـهـلـ أـنـ يـحـمـيـ بـشـجـاعـتـهـ

يسرى الأيوبي غيره عانا قصص قصيرة رمزية

وفروسيته الديار، ورغبت أخرى في تنفيذ وصية ديموزي المقدسة التي
أعلنها أمام الكهنة في أن يكون ابنه أدونيس ملكاً من بعده.

كان أدونيس طفلاً، والكهنة لا يريدون الانتظار حتى يكبر
الأطفال، أو أن يكونوا تحت إمرة عشتار التي يحمي مصالحها خصيّان
القصر الذين يتمنّطّقون بالدروع ويُمْهرون بالرماية ومقارعة السيف.
ولقد طال الجدال بين الفتّين ولم يسفر عن قرار.

وأخيراً وجدت عشتار الحل.. تحوات إلى مهرة بيضاء ركبها
لوال فطارت به في الأجواء العالية، ثم حطت في غابة الأرز حيث
عشيرتها وأهلها، وتحولت فجأة إلى عروس في كامل زينتها بهرت
لوال حتى يكاد يطير صوابه لجمالها وفتنتها، وقالت له بنعومة:

- تزوجني يا لوال فترضي كل الأطراف: الكهنة وخصيّان القصر، عرش حجر
اللازورد وتنفيذ وصية والدك، وكل نساء ايريك عدا أمك!..

* * *